
البدر التمام
في بيان أهمية الطفولة في الإسلام
سيد عبد العاطي



يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني نشر هذه الرسالة للشيخ سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي وهي بعنوان : (الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي بَيَان أَهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإِسْلَام) .

وفيها بين أهمية الطفولة ورعايتها علي الكتاب والسنة فهي أهم مراحل الإنسان لتكوين شخصيته وسعادته دين ودنيا أن كانت الرعاية علي أسس شرعية.. ويقول فضيلته: فالأَبْنَاءُ هُمْ عِمَادُ ظُهُورِنَا، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا،وَقُرَّةُ عُيُونِنَا،بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا،وَهُمُ الْخَلَفُ مِنَّا لِمَنْ بَعْدَنَا،فَوَجَبَ أَنْ نَكُونَ لَهُمْ أَرْضاً ذَلِيلَةً، وَسَمَاءً ظَلِيلَةً، إِنْ سَأَلُونَا أَعْطَيْنَاهُمْ،وَإِنْ غَضِبُوا أَرْضَيْنَاهُمْ،إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِمْ مَنَحُونَا وُدَّهُمْ وَأَحَبُّوْنَا جُهْدَهُمْ..."

ولأهمية الرسالة لكل اسرة مسلمة قامت الموسوعة بتنسيقها وعمل غلافة ورفعها بروابط مباشرة علي صفحات الموسوعة المختلفة لمن شاء تحميلها

فجزاه الله عنا كل خير ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه..

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي بَيَان أَهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإِسْلَام }



الْحَمدُ لِلَّهِ جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور، رَافِعِ السَّمَاوَاتِ فَلا يُرَى بِهَا فُطُور، وَبَاسِطِ الْأَرْضِ وَمُمْسِكِهَا أَنْ تَمُور، خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَرَبَّاهُمْ بِنِعَمِهِ،{ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ صَلَاحُ عِبَادِهِ وَإِلَيهِ الْمَصِيرِ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِير، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ النُّشُور.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَالأَبْنَاءُ هُمْ عِمَادُ ظُهُورِنَا، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا،وَقُرَّةُ عُيُونِنَا،بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا،وَهُمُ الْخَلَفُ مِنَّا لِمَنْ بَعْدَنَا،فَوَجَبَ أَنْ نَكُونَ لَهُمْ أَرْضاً ذَلِيلَةً، وَسَمَاءً ظَلِيلَةً، إِنْ سَأَلُونَا أَعْطَيْنَاهُمْ،وَإِنْ غَضِبُوا أَرْضَيْنَاهُمْ،إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِمْ مَنَحُونَا وُدَّهُمْ وَأَحَبُّوْنَا جُهْدَهُمْ،وَهُمْ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَائِلِ:{ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }.(الشُّورى:٤٩-٥٠).

أَيْ: للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِنَاثًا لَا ذُكُور مَعَهُنَّ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ لَا إِنَاثَ مَعَهُمْ، وَيُعْطِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ النَّاسِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا لَا يُولَدُ لَهُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَخْلُقُ، قَدِيرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ أَرَادَ خَلْقَهُ.

-وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَوْلَادَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَالَ تَعَالَى:

{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا }.(الكهف:٤٦).أَيْ: الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ جَمَالٌ وَقُوَّةٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ - وَبِخَاصَّةٍ التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ- أَفْضَلُ أَجْرًا عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِين، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ أَفْضَلُ مَا يَرْجُو الْإِنْسَانُ مِنَ الثَّوَابِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَيَنَال بِهَا فِي الْآخِرَةِ مَا كَانَ يَأْمُلُهُ فِي الدُّنْيَا.

•وَلَمَّا كَانَتِ الطُّفُولَةُ مِنْ أَهَمِّ مَرَاحِلِ الْإِنْسَانِ ، وَتَتَمَيَّزُ بِخَصَائِص وَصِفَاتٍ وَاسْتِعْدَادَاتٍ،فَهِيَ أَسَاسُ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَرَاحِلِ،فَهِيَ مَرْحَلَةُ التَّكْوِين وَالتَّأْهِيلِ ،تَتَفَتَّقُ فِيهَا الْمَلَكَاتُ،

وَتَبْرُزُ فِيهَا الْمُوَهَّلَاتُ،وَتَنْمُو الْمَدَارِكُ،وَيَتَجَاوَبُ فِيهَا الطِّفْلُ مَعَ الْبِيئَةِ الْمُحِيطَةِ سَلْبًا وَإِيجَابًا،وَتَتَجَدَّدُ نَزَعَاتُهُ نَحْوَ الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ،فَقَدْ عُنِيَ الْإِسْلَامُ عِنَايَةً كَبِيرَةً بِمَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ

مِنْ أجْلِ إعْدَادِ الْجِيلِ الصَّالِحِ،لِذَا صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{ الْبَدْرِ التَّمَامِ فِي بَيَانِ أهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإسْلَامِ } لأوَضِّحَ فِيهَا عِنَايَةَ الْإسْلَامِ بِالطِّفْلِ،هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



•أوَّلًا: عِنَايَةُ الْإسْلَامِ بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلِ:

-لَقَدِ اهْتَمَّ الْإسْلَامُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلِ قَبْلَ أنْ يُولَدَ وَأثْنَاءَ الْحَمْلِ بِهِ وَبَعْدَ أنْ يُولَدَ،وَأخَذَ هَذَا الاهْتِمَامُ عِدَّةَ صُورٍ مِنْهَا:

(١) حُسْنُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَيْنِ:

-مِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الزَّوَاجَ شَعِيرَةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَسُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ،نَعَمْ شَعِيرَةٌ رَبَّانِيَّةٌ فَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(الرُّوم:٢١).

-يَقُولُ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَمِنْ آيَاتِهِ } الدَّالَّةِ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ، { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } تُنَاسِبُكُمْ وَتُنَاسِبُونَهُنَّ وَتُشَاكِلُكُمْ وَتُشَاكِلُونَهُنَّ { لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } بِمَا رَتَّبَ عَلَى الزَّوَاجِ مِنَ الْأسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،فَحَصَلَ بِالزَّوْجَةِ الاسْتِمْتَاعُ وَاللَّذَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُونِ إِلَيْهَا، فَلَا تَجِد بَيْنَ أحَدٍ فِي الْغَالِبِ مِثْلَ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } يُعْمِلُونَ أفْكَارَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ}.

•وَالزَّوَاجُ سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٤٧٧٦)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-قَالَ:

{جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي}.

•مِنْ أجْلِ ذَلِكَ حَثَّ الْإسْلَامُ عَلَى الزَّوَاجِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ مِنْهَا:غَضُّ الْبَصَرِ ،وَحِفْظُ الْفَرْجِ،وَإِنْجَابِ الذُّرِّيَّةِ الَّتِي تُوَحِّدُ رَبَّ الْبَرِيَّةِ.

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٥٧٦)

مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بِمِنًى ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَلَا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً ، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:{يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ،

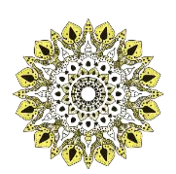
مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ،فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ،وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ،وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ }

•ووَضَعَ الْإِسْلَامُ عِدَّةَ ضَوَابِطَ للاخْتِيَار كَيْ تَسْتَقِرَ الْأُسْرَةُ،فأَوْصَى بِحُسْنِ اخْتِيَار الزَّوْجَة،فقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٨١٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ،عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ :{تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ}.

•وأَمَرَ وَلِيَّ الزَّوْجَةِ بتَزْوِيجِ صَاحِبِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ،فقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٠٨٤)مِنْ حَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{ إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ}.وَإِنْ كَانَ فِي سَنَدِ الْحَدِيثِ مَقَالٌ لَكِنَّهُ صَحِيحُ الْمَعْنَى،ولا يخفى أنَّ الحديث قيَّده بالدِّين والخُلُق؛ لأنَّ صَاحِبَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ إِنْ عَاشَرَهَا عَاشَرَهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنْ سَرَّحَهَا سَرَّحَهَا بِإِحْسَانٍ عَلَى مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الآيَاتُ.

-ولهذا حِينَ قِيلَ للحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:{إِنَّ لِيَ بِنْتًا، فَمَنْ تَرَى أَنْ أُزَوِّجَهَا لَهُ؟ فَقَالَ:زَوِّجْهَا لِمَنْ يَتَّقِي اللهَ؛ فَإِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا، وَإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلِمْهَا}.

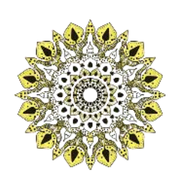
(انظُرْ:كتاب"العيال"لابن أبي الدُّنْيا: ١/٢٧٣).



-فاخْتِيَارُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الطِّفْلِ عَلَى أَبِيهِ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ الطِّفْلُ حِرْصًا عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَتِهِ.

-{جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- يَشْكُو إِلَيْهِ عُقُوقَ وَلَدِهِ، فَأَمَرَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-بِإِحْضَارِ الْوَلَدِ، وَأَنَّبَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الْوَلَدَ لِعُقُوقِهِ لأبيه،فقَالَ الْوَلَدُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ للوَلَدِ حُقُوقٌ عَلَى أَبِيهِ؟! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ عُمَرُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَنْ يَنْتَقِيَ أُمَّهُ، وَيُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ - أَيْ:الْقُرْآن -، قَالَ الْوَلَدُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَبِي لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ أَمَّا أُمِّي فَإِنَّهَا زِنْجِيَّةٌ كَانَتْ لِمَجُوسِيٍّ، وَقَدْ سَمَّانِي جُعْلًا-أَيْ:خُنْفُسَاء-، وَلَمْ يُعَلِّمْنِي مِنَ الْكِتَابِ حَرْفًا وَاحِدًا، فَالْتَفَتَ عُمَرُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: جِئْتَ تَشْكُو عُقُوقَ ابْنِكَ وَقَدْ عَقَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعُقَّكَ، وَأَسَأْتَ إِلَيْهِ مِنْ

قبْلَ أنْ يُسِيءَ إلَيْكَ}. (انْظرْ:موسوعة الدِّفاع عن رسول اللّهِ-صلّى الله عليه وسلّم -:١٨٤/٤ ل علي بن نايف الشّحود).



(٢) النَّفقةُ عَلَى الزَّوْجَةِ مِنَ الحَلَالِ الطَّيِّبِ:

-لَقَدْ أمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَابِ الكَسْبِ وَالسَّعْي بِالْحَلَالِ الطَّيِّبِ لأنَّ اللَّهَ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلّا طيِّبًا،جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ،فأمَرَ سُبْحَانَهُ بالسَّعْي عَلَى طلبِ الأرْزَاقِ فقالَ تَعَالَى:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ}.(الملك:١٥).

أيْ: هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الأرْضَ وَذَلَّلَهَا، لِتُدْرِكُوا مِنْهَا كُلَّ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ حَاجَتُكُمْ،مِنْ غَرْسٍ وَبِنَاءٍ وَحَرْثٍ، وَطُرُقٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إلَى الأقْطَارِ النَّائِيَةِ وَالبُلْدَانِ الشَّاسِعَةِ، { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } أيْ: لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَكَاسِبِ.

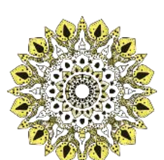
{ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإلَيْهِ النُّشُورُ } أيْ: بَعدَ أنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ امْتِحَانًا، وَبُلْغَةً يُتَبَلَّغُ بِهَا إلَى الدَّارِ الآخِرَةِ، تُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَتُحْشَرُونَ إلَى اللَّهِ، لِيُجَازِيَكُمْ بِأعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ.وَقالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}.(الجمعة:٩-١٠).

فقوْلُهُ:{ فإذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ } أيْ:لِطَلَبِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ ، وَلَمَّا كَانَ الاشْتِغَالُ فِي التِّجَارَةِ، مَظَنَّةَ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، أمَرَ اللَّهُ بِالإكْثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ، فَقَالَ: { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } أيْ: فِي حَالِ قِيَامِكُمْ وَقُعُودِكُمْ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ،{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فَإنَّ الإكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أكْبَرُ أسْبَابِ الْفَلَاحِ.

،وَعَطفَ السَّعْيَ عَلَى طلبِ الأرْزَاقِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ سُبْحَانَهُ لِبَيَانِ أهَمِّيَّةٍ فقالَ تَعَالَى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ}.(المزَّمِّل:٢٠).

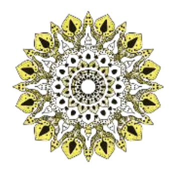
،فقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } أيْ: وَعَلِمَ أنَّ مِنْكُمْ مُسَافِرِينَ يُسَافِرُونَ للتِّجَارَةِ، لِيَسْتَغْنَوْا عَنِ الْخَلْقِ، وَيَتَكَفَّفُوا عَنِ النَّاسِ أيْ: فَالْمُسَافِرُ، حَالُهُ تُنَاسِبُ التَّخْفِيفَ، وَلِهَذَا خَفَّفَ عَنْهُ فِي صَلَاةِ الْفَرْضِ، فَأبِيحَ لَهُ جَمْعُ الصَّلَاتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقصرُ الصَّلَاةِ الرُّبَاعِيَّةِ.وكَذَلِكَ { آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } فذَكَرَ تَعَالَى تَخْفِيفَيْنِ، تَخْفِيفًا للصَّحِيحِ الْمُقِيمِ، يُرَاعِي فِيهِ نَشَاطهُ، مِنْ غَيْرِ أنْ يُكَلفَ عَلَيْهِ تَحْرِيرَ الْوَقتِ،بَلْ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ الْفَاضِلَةَ،وَهِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ بَعْدَ نِصْفِهِ الْأوَّلِ.وتَخْفِيفًا للمَرِيضِ أو الْمُسَافِرِ، سَوَاء كَانَ سَفَرُهُ للتِّجَارَةِ، أوْ لِعِبَادَةٍ، مِنْ قِتَالٍ أوْ جِهَادٍ، أوْ حَجٍّ، أوْ عُمْرَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإنَّهُ أيْضًا يُرَاعِي مَا لَا يُكَلِّفُهُ،فللَّهِ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، الَّذِي مَا جَعَلَ عَلَى الْأمَّةِ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، بَلْ سَهَّلَ شَرْعَهُ، وَرَاعَى أحْوَالَ عِبَادِهِ وَمَصَالِحَ دِينِهِمْ وَأبْدَانِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.



•وَأمَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤمِنِينَ بمَا أمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ أكْلِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ فقالَى تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ}.(المؤمنون:٥١).،أيْ:يَا أيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ طَيِّبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَاعْمَلُوا الْأعْمَالَ الصَّالِحَةَ، إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيءٌ مِنْ أعْمَالِكُمْ. وَالْخِطَابُ فِي الْآيَةِ عامٌّ للرُّسُلِ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَأتْبَاعِهِمْ، وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ أكْلَ الْحَلَالِ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأنَّ عَاقِبَةَ الْحَرَامِ وَخِيمَةٌ، وَمِنْهَا رَدُّ الدُّعَاءِ.وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ}.(البقرة:١٧٢).،فَهَذَا أمْرٌ للمُؤمِنِينَ خَاصَّةً،بَعْدَ الْأمْرِ الْعَامِّ،وَذَلِكَ أنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْأوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، بِسَبَبِ إيمَانِهِمْ، فَأمَرَهُمْ بِأكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَالشُّكْرِ للَّهِ عَلَى إنْعَامِهِ، بِاسْتِعْمَالِهَا بِطَاعَتِهِ، وَالتَّقَوِّي بِهَا عَلَى مَا يُوَصِّلُ إلَيْهِ، فَأمَرَهُمْ بِمَا أمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فِي قَوْلِهِ { يَا أيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا }

فالشُّكْرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ،وَهُنَا لَمْ يَقُلْ {حَلَالًا } لأنَّ الْمُؤمِنَ أبَاحَ اللَّهُ لَهُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ خَالِصَةً مِنَ التَّبِعَةِ، وَلأنَّ إيمَانَهُ يَحْجِزُهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَيْسَ لَهُ. وَقوْلُهُ { إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ } أيْ:

فَاشْكُرُوهُ، فَدَلَّ عَلَى أنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، لَمْ يَعْبُدْهُ وَحْدَهُ، كَمَا أنَّ مَنْ شَكَرَهُ، فَقدْ عَبَدَهُ، وَأتَى بِمَا أمَرَ بِهِ، وَيَدُلُّ أيْضًا عَلَى أنَّ أكْلَ الطَّيِّبِ، سَبَبٌ للعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَبُولِهِ، وَالْأمْرُ بِالشُّكْرِ، عُقَيْبَ النِّعَمِ؛ لأنَّ الشُّكْرَ يَحْفَظُ النِّعَمَ الْمَوْجُودَةَ، وَيَجْلِبُ النِّعَمَ الْمَفْقُودَةَ كَمَا أنَّ الْكُفْرَ، يُنَفِّرُ النِّعَمَ الْمَفْقُودَةَ وَيُزِيلُ النِّعَمَ الْمَوْجُودَةَ.



•وحَذَّرَ سُبْحَانَهُ مِنْ أكْلِ الْحَرَامِ وبَيَّنَ شُؤمَهُ وعَاقِبَتَهُ الْوَخِيمَةَ، فأكْلُ الْحَرَامِ نِقْمَةٌ شَدِيدَةُ الْوَطْأةِ عَلَى الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

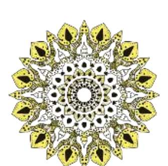
-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ برقم(١٠١٥)

مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وَإنَّ اللَّهَ أمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.(المؤمنون:٥١)،وقَالَ:{يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}.(البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ،فَأنَّى يُسْتَجَابُ لذَلكَ؟!}.

-فَمِنْ حَقِّ الطِّفْلِ عَلَى أبِيهِ حَالَ حَمْلِ أمِّهِ بِهِ أنْ يُنْفِقَ عَلَى أمِّهِ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ فَأيُّمَا لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أوْلَى بِهِ.

-جَاءَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ برقم(٤٥١٩) مِنْ حَدِيثِ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجْمَعِينَ-:أنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:

{ كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أوْلَى بِهِ }.



(٣)سُنَنٌ وَآدَابٌ أثْنَاءَ الْحَمْلِ وبَعْدَ الْوَضْعِ:

-فَإذَا قُدِّرَ الْوَلَدُ فَعَلَى الْأمِّ الاهْتِمَامُ بِالْهُدُوءِ وَتَجَنُّبُ الْغَضَبِ وَالْعَصَبِيَّةِ،وَالْإكْثَارُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ فَهَذَا يُسْهِمُ إسْهَاماً كَبِيراً فِي تَهْيئَةِ الْجَنِينِ وَإعْدَادِهِ إيمَانِيًّا دَاخِلَ الرَّحِمِ،فَإذَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ سَبِيلَ الْخُرُوجِ كَانَتْ أولَى الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَطْرُقُ سَمْعَهُ كَلِمَاتِ الْآذَانِ تَثْبِيتاً لِلفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ.

-أمَّا الْأذَانُ فِي أذُنِ الْمَوْلُودِ فَقَدْ أخْرَجَ أبُو دَاوُد برقم(٥١٠٥)

،وَالتِّرْمِذِيُّ برقم(١٥١٤)،وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أبِي رَافِعٍ، عَنْ أبِي رَافِعٍ قَالَ:{ رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أذَّنَ فِي أذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ }.(قال الحافظ في "التَّلخيص" :٤/ ١٤٩: ومداره على عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف).

-وَأمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ الْأذَانِ وَالْإقَامَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثَانِ:

- أحَدُهُمَا: مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الشُّعَبِ) برقم(٨٦٢٠)بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:{ أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أذَّنَ فِي أذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ، وَأقَامَ فِي أذُنِهِ الْيُسْرَى }.

- وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أيْضاً فِي الشُّعَبِ(٨٦١٩)

بسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- قَالَ:{ مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، رُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ }.

-وَعَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ اعْتَمَدَ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي (تُحْفَةِ الْمَوْدُودِ فِي أَحْكَامِ الْمَوْلُودِ)، وَتَرْجَمَهَا بِاسْتِحْبَابِ التَّأْذِينِ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ، وَالْإِقَامَةِ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى. . ثُمَّ أَبْدَى ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ- الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:{ سِرُّ التَّأْذِينِ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَقْرَعُ سَمْعَ الْإِنْسَانِ كَلِمَاتُهُ -أَيْ: الْأَذَانِ- الْمُتَضَمِّنَةُ لِكِبْرِيَاءِ الرَّبِّ، وَعَظَمَتِهِ، وَالشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ ذَلِكَ كَالتَّلْقِينِ لَهُ شِعَارَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا يُلَقَّنُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا. وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ وُصُولُ التَّأْذِينِ إِلَى قَلْبِهِ، وَتَأَثُّرِهِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ - مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةٍ أُخْرَى: وَهِيَ هُرُوبُ الشَّيْطَانِ مِنْ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ، وَهُوَ كَانَ يَرْصُدُهُ حَتَّى يُولَدَ، فَيُقَارِنُهُ الْمُدَّةَ الَّتِي قَدَّرَهَا اللهُ وَشَاءَهَا، فَيَسْمَعُ شَيْطَانُهُ مَا يُضْعِفُهُ، وَيُغِيظُهُ أَوَّلَ أَوْقَاتِ تَعَلُّقِهِ بِهِ - وَفِيهِ مَعْنًى آخَرُ: وَهُوَ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ إِلَى اللهِ، وَإِلَى دِينِهِ الْإِسْلَامِ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ سَابِقَةً عَلَى دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، كَمَا كَانَتْ فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا سَابِقَةً عَلَى تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ لَهَا، وَنَقْلِهِ عَنْهَا، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْحِكَمِ }.أ.هـ، (انْظُرْ:تُحْفَةَ الْمَوْدُودِ بِأَحْكَامِ الْمَوْلُودِ ص:١٧).

-هَذَا وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ التَّأْذِينُ وَلَا الْإِقَامَةُ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ لِعَدَمِ ثُبُوتِ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ وَقَدْ حَكَمَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-عَلَى أَحَادِيثِ الْأَذَانِ فِي الْيُمْنَى وَالْإِقَامَةِ فِي الْيُسْرَى بِالْوَضْعِ،وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ.(انظرْ: إرواء الغليل:٤٠١/٤ رقم:١١٧٤ والسِّلسلة الضَّعيف:٤٩١/١ رقم:٣٢١ كلاهما للألبانيِّ).

-وَيُسَنُّ الدُّعَاءُ لِلطِّفْلِ بِالْبَرَكَةِ وَتَحْنِيكُهُ،لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الطَّهَارَةِ بِرَقْمِ(٢٨٦)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:{ أَنَّهُ كَانَ يُؤْتَى إِلَيْهِ بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ وَيُحَنِّكُهُمْ }.

- قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي فَتْحِ الْبَارِي :٩ /٥٨٨ :{ وَالتَّحْنِيكُ مَضْغُ الشَّيْءِ وَوَضْعُهُ فِي فَمِ الصَّبِيِّ وَدَلْكُ حَنَكِهِ بِهِ ، يُصْنَعُ ذَلِكَ بِالصَّبِيِّ لِيَتَمَرَّنَ عَلَى الْأَكْلِ ، وَيَقْوَى عَلَيْهِ ، وَيَنْبَغِي عِنْدَ التَّحْنِيكِ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ حَتَّى يَنْزِلَ جَوْفَهُ ، وَأَوْلَاهُ التَّمْرُ ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ تَمْرٌ فَرُطَبٌ ، وَإِلَّا فَشَيْءٌ حُلْوٌ ،وَعَسَلُ النَّحْلِ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ }انْتَهَى.

-وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي تَحْنِكِ الْمَوْلُودِ مِنْهَا:

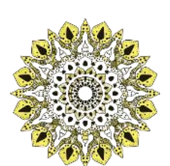
-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ

(٣٦١٩) عَنْ أَسْمَاءَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:{ أَنَّهَا وَلَدَتْ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَأَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهِ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ } .

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-أَيْضاً-بِرَقْم (٥٠٤٥) عَنْ أَبِي مُوسَى

-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ :{ وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ- فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ }.

-وَيَنْبَغِي أنْ يَحْرِصَ الْأَبَوَانِ عَلَى الْعَقِيقَةِ عَنِ الطِّفْلِ فِي يَوْمِهِ السَّابِعِ،وَالْعَقِيقَةُ : هِيَ الذَّبِيحَةُ الَّتِي تُذْبَحُ عَنِ الْمَوْلُودِ فِي الْيَومِ السَّابِعِ مِنْ مَوْلِدِهِ ، وَقَدْ كَانَتِ الْعَقِيقَةُ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ :{ فَأَمَّا الْعَقِيقَةُ فَهِيَ شَاةٌ تُذْبَحُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ كَانَتْ الْعَرَبُ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ }.(الحاوي الكبير :١٥ / ١٢٦) .



-وَقَدْ ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيَّةُ الْعَقِيقَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَمِنْهَا :

-مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٨٤٣)مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ :{ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِنَا غُلَامٌ ذَبَحَ شَاةً وَلَطَّخَ رَأْسَهُ بِدَمِهَا ، فَلَمَّا جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ كُنَّا نَذْبَحُ شَاةً وَنَحْلِقُ رَأْسَهُ وَنُلَطِّخُهُ بِزَعْفَرَانٍ }.(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي :صَحِيحِ أبي دَاوُد) ،. وَالزَّعْفَرَانُ : نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ .

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٥١٥٤)مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ :{ مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَةٌ ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَماً ، وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى }.

-وَيُشْرَعُ ذَبْحُ شَاتَيْنِ عَنِ الْمَوْلُودِ الذَّكَرِ ، وَشَاةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْأُنْثَى ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ ، وَمِنْهَا :

-مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقَمِ(١٥١٦)وَالنَّسَائِيُّ بِرَقَمِ(٤٢١)عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْخُزَاعِيَّةِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ :{ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ ، وَعَنِ الْأُنْثَى وَاحِدَةٌ ، لَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَاناً أَمْ إِنَاثاً } .(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي:إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ :٤/ ٣٩١) .

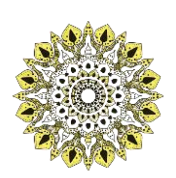
-وَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقَمِ(١٥١٣) وَقَالَ:حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَمَرَهُمْ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ }.(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ) .

-وَلِلعَقِيقَةِ فَوَائِدُ ذَكَرَ بَعْضَهَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ-فَقَالَ:{ وَمِنْ فَوَائِدِ الْعَقِيقَةِ : أَنَّهَا قُرْبَانٌ يُقَرَّبُ بِهِ عَنِ الْمَوْلُودِ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِ خُرُوجِهِ إِلَى الدُّنْيَا.وَمِنْ فَوَائِدِهَا : أَنَّهَا تَفُكُّ رِهَانَ الْمَوْلُودِ ، فَإِنَّهُ مُرْتَهِنٌ بِعَقِيقَتِهِ حَتَّى يَشْفَعَ لِوَالِدَيْهِ وَمِنْ فَوَائِدِهَا : أَنَّهَا فِدْيَةٌ يُفْدَى بِهَا الْمَوْلُودُ كَمَا فَدَى اللهُ سُبْحَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بِالْكَبْشِ }. انْتَهَى .(انْظُرْ:تُحْفَةُ الْمَوْدُود:ص :٦٩) .

-وَأَفْضَلُ تَوْقِيتٍ لِلعَقِيقَةِ يَوْمُ السَّابعِ مِنَ الْوِلَادَةِ،لِقَوْلِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى }.(رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: ٢٨٣٨ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُد).

-وَلَوْ تَأَخَّرَتْ عَنِ السَّابِعِ فَلَا حَرَج ، وَتُذْبَحُ مَتَى اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً .

-وَيُسْتَحَبُّ حَلْقُ رَأسِ الْمَوْلُودِ الذَّكَرِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَإِزَالَةُ الْأَذَى عَنْهُ وَتَسْمِيَتُهُ اسْماً حَسَناً لِلأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ.



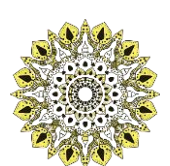
(٤) وَصَايَا قُرْآنِيَّةٌ فِي تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ:

-فَهَذَا لُقْمَانُ الْحَكِيمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ يُقَدِّمُ وَصَايَا ذَهَبِيَّةً تَضَمَّنَتْ فَوَائِدَ عَظِيمَةً،وَتَوْجِيهَاتٍ كَرِيمَةً،وَلَفَتَاتٍ مُبَارَكَةً ،وَنَهْجًا سَدِيدًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَتَرْبِيَةَ الأَبْنَاءِ وَتَنْشِئَةِ الأَجْيَالِ ، وَفِيهَا بَيَانٌ لِلوَسَائِلِ النَّاجِحَةِ وَالْأَسَالِيبِ النَّاجِعَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ،وَإِضَافَةً إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْوَصَايَا مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَدَعْوَةٍ مُؤَصَّلَةٍ فَإِنَّ فِيهَا الأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ لِجَلْبِ الْقُلُوبِ،وَشَدِّ الأَذْهَانِ،وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، وَحُسْنِ الْمَوْعِظَةِ ،وَحُسْنِ الدُّخُولِ عَلَى النَّاسِ فِي بَيَانِ الْخَيْرِ لَهُمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

-وَالدَّعْوَةُ كَمَا أَنَّهَا عِلْمٌ يُدْعَى إِلَيْهِ وَعَمَلٌ يُرْشَدُ إِلَيْهِ فَإِنَّهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تَحْتَاجُ إِلَى حِكْمَةٍ وَوَسَائِلَ نَافِعَةٍ وَأَسَالِيبَ مُؤَثِّرَةٍ حَتَّى يَكُونَ لَهَا بِذَلِكَ الدُّخُولُ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا آتَى عَبْدَهُ لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ وَقَذَفَ فِي قَلْبِهِ الْحِكْمَةَ، وَجَعَلَ كَلَامَهُ وَوَعْظَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَإِرْشَادَهُ حِكْمَةً ؛ وَهَذَا كُلُّهُ يَقْتَضِي مِنَّا حُسْنَ تَدَبُّرٍ وَتَعَقُّلٍ وَمُدَارَسَةٍ لِهَذِهِ الْوَصَايَا الَّتِي أَشَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَسَأَذْكُرُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَقِفُ مَعَ بَعْضِ فَوَائِدِهَا:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ}.(لُقْمَان:١٢-١٩).

-وَإِلَيْكُمْ جُمْلَةٌ مِنَ الْفَوَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ مِنْ خِلَالِ وَصَايَا لُقْمَانَ لابْنِهِ وَمِنْهَا:



(أ)أَهَمِّيَةُ أُسْلُوبِ الْوَعْظِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ:

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ } ؛أُسْلُوبُ الْوَعْظِ لَهُ أَثَرٌ بَالِغٌ فِي تَرْبِيَةِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِ النَّشْءِ؛وَ(الْوَعْظُ)مَا هُوَ؟ قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ الَّذِي يُوَجَّهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيُرْشَدُونَ إِلَى فِعْلِهِ مَقْرُوناً بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، تَذْكُرُ الْفَائِدَةَ مَعَ الْمُرَغِّبَاتِ ،تَذْكُرُ الْأَمْرَ بِالْخَيْرِ مَعَ الْمُرَغِّبَاتِ ، تَذْكُرُ النَّهْيَ عَنِ الشَّرِّ مَعَ الْمُرَهِّبَاتِ؛فَالْوَعْظُ هُوَ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ وَنَهْيٌ عَنِ الشَّرِّ مَعَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ؛وَالتَّرْغِيبُ يَكُونُ بِذِكْرِ الْفَوَائِدِ وَذِكْرِ الثِّمَارِ وَذِكْرِ الْآثَارِ الَّتِي يَنَالُهَا الْعَبْدُ إِذَا فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي رُغِّبَ فِيهِ، وَأَيْضاً عِنْدَ النَّهْيِ يَكُونُ كَذَلِكَ يَذْكُرُ الْأَخْطَارَ وَالْأَضْرَارَ الَّتِي يُحَصِّلُهَا مَنْ وَقَعَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ.

-(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ)؛يَعْنِي لَمْ يَأْتِ بِالْكَلَامِ مَعَ ابْنِهِ جَافاً ،وَلَمْ يَأْتِ بِهِ بِدُونِ أَنْ يَصْحَبَهُ بِتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ؛ وَإِنَّمَا جَاءَ بِتَرْغِيبٍ نَافِعٍ وَذِكْرٍ لأُمُورٍ تُشَجِّعُ الْمَدْعُوَّ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وَأَكْمَلِ حَالٍ .



(ب)وَمِنْهَا:أَهَمِّيَّةُ حُسْنِ التَّوَدُّدِ وَعَظِيمِ أَثَرِهِ عَلَى الْمُتَلَقِّي وَالْمُتَعَلِّمِ:

-أَنْتَ عِنْدَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعِظَ إِنْسَاناً وَتَنْصَحَهُ يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ، مَا مَعْنَى تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ؟ يَعْنِي أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْعِبَارَاتِ اللَّطِيفَةِ وَالْكَلَامِ الْحُلْوِ الَّذِي يَجْعَلُ كَلَامَكَ يَدْخُلُ قَلْبَهُ ،وَأَيْضاً يَجْعَلُ قَلْبَهُ يَنْفَتِحُ لِكَلَامِكَ ، وَلَاحِظْ لُقْمَانَ وَهُوَ يَعِظُ ابْنَهُ جَاءَ بِكَلَامٍ حُلْوٍ وَأُسْلُوبٍ مُؤَثِّرٍ وَكَلِمَاتٍ تَدْخُلُ إِلَى الْقَلْبِ، وَانْظُرْ لُطْفَهُ فِي حَدِيثِهِ مَعَ ابْنِهِ فِي وَعْظِهِ،تَتَكَرَّرُ عِبَارَةُ(يَا بُنَيَّ!)(يَا بُنَيَّ!)(يَا بُنَيَّ!)، تَجِدُهَا تَتَكَرَّرُ مَعَكَ فِي السِّيَاقِ ؛ هَذِهِ لَهَا وَقْعٌ فِي قَلْبِ الابْنِ وَلَهَا تَأْثِيرٌ وَهِيَ تَفْتَحُ قَلْبَهُ، انْظُرِ الْأَثَرَ الْمُبَارَكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الْوَعْظُ مَعَ حُسْنِ تَوَدُّدٍ،وَعِنْدَمَا يَكُونُ الْوَعْظُ بَعِيداً عَنِ التَّوَدُّدِ ، مِثْلُ:لَوْ يَقُولُ قَائِلٌ وَهُوَ يَنْصَحُ أَوْ يَزْجُرُ أَوْ يَنْهَى:يَا وَلَدُ! ، أَوْ بَعْضُهُمْ عِنْدَمَا يُخَاطِبُ ابْنَهُ أَوْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْهَاهُ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ !! كَيْفَ تُرِيدُ قَلْبَهُ يَنْفَتِحُ لِكَلَامِكَ وَأَنْتَ تَدْعُوهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ !!

أَوْ يَصِفُهُ بِصِفَاتٍ تَجْعَلُ قَلْبَهُ يَنْغَلِقُ مِثْل أَنْ يَقُولَ لَهُ يَا أَخْرَسُ أَوْ مَثَلاً يَا أَعْمَى أَوْ مَثَلاً يَا غَبِيُّ ، وَيَصِفُهُ بِصِفَاتٍ تَجْعَلُ قَلْبَهُ يُغْلَقُ وَذِهْنَهُ يَتَبَلَّدُ؛ شَتَّانَ بَيْنَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبَيْنَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْوَاعِظُ أُسْلُوبَ التَّوَدُّدِ (يَا بُنَيَّ!) تَأْتِي لَطِيفَةً بِحَنَانٍ وَأُبُوَّةٍ وَعَطْفٍ وَرَأْفَةٍ فَيَنْفَتِحُ الْقَلْبُ ، لَاحِظْ حُسْنَ التَّوَدُّدِ يَقُولُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ:{يَا مُعَاذُ! إِنِّي لَأُحِبُّكَ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ؛ قَالَ:أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ! لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ}.(رواه أبو داود:"١٥٢٢"وقَالَ النَّوَوِيُّ فِي الأَذْكَارِ ص:١٠٣:إسناده صحيح).

الْوَصِيَةُ هِيَ:{لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ}وَالَّذِي قَبْلَهَا تَوَدُّدٌ وَتَلَطُّفٌ وَفَتْحٌ لِلقَلْبِ حَتَّى يُقْبِلَ عَلَى الْفَائِدَةِ وَتَنْفَتِحَ أَسَارِيرُ الْقَلْبِ وَيَتَهَيَّأَ لِلتَّحْصِيلِ ؛وَهَذَا التَّوَدُّدُ نَلْمَحُهُ كَثِيراً فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ نَذْكُرُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ:

(١)مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ-بَاب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ برَقم(٥٠٦١)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ :كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ}.فَانْظُرْ إِلَى تَوَدُّدِ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي قَوْلِهِ:{يَا غُلَامُ}!!

(٢)وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقم

(٢٥١٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ:{كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَوْماً قَالَ:يَا غُلَامُ،إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ:احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ،احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ،وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ}.

-فَهَذِهِ لَابُدَّ مِنْهَا فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ .



(ج)وَمِنْهَا:أَنَّ أَهَمَّ مَا يُرَبَّى عَلَيْهِ النَّشْءُ وَتُرَبَّى عَلَيْهِ الأَجْيَالُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْبُعْدُ عَنِ الإِشْرَاكِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

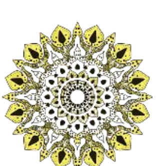
فَإِنَّ هَذَا أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ وَأَعْظَمُ الْمَقَاصِدِ وَأَجَلُّ الْغَايَاتِ وَهُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ الدِّينُ وَتُقَامُ عَلَيْهِ الْمِلَّةُ، وَلِهَذَا بَدَأَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ فِي مَوْعِظَتِهِ لابْنِهِ بِنَهْيِهِ عَنِ الإِشْرَاكِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.(لقمان:١٣).أَيْ: بِكُلِّ صُوَرِهِ وَجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكاً فِي الْمُلْكِ وَالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِنْعَامِ،وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكاً فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكاً فِي الْعِبَادَةِ الَّتِي خَلَقَكَ اللهُ لِأَجْلِهَا وَأَوْجَدَكَ لِتَحْقِيقِهَا. وَبَيَّنَ لُقْمَانُ لابْنِهِ أَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ؛ فَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ وَأَكْبَرُ الْجُرْمِ وَأَعْظَمُ الآثَامِ، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَشْنَعُ وَأَيُّ جُرْمٍ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُصْرَفَ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ وَالرَّبِّ الْجَلِيلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!!.

(د)وَمِنْهَا:أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقَامُ الْأَبَوَيْنِ عَظِيماً وَمَنْزِلَتُهُمْ رَفِيعَةً أَوْصَى اللهُ جَلَّ وَعَلَا - فِي أَثْنَاءِ ذِكْرِهِ لِوَصِيَّةِ لُقْمَان-بِالْأَبَوَيْنِ بِرًّا وَإِحْسَاناًوَرِعَايَةً وَإِكْرَاماً:

فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(لقمان:١٤-١٥)؛ وَهِيَ وَصِيَّةٌ جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ وَالْانْتِبَاهِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّطْبِيق ،وَصِيَّةُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِالْوَالِدَيْنِ وَقَرَنَ حَقَّهُمَا بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَشُكْرَهُمَا بِشُكْرِهِ سُبْحَانَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الْمَكَانَةِ وَكَبِيرِ الْمَسْؤولِيَّةِ.

-وَلْنَتَأَمَّلْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوص حَقَّ الْأُمِّ لِعِظَمِ تَعَبِهَا وَكِبَرِ نَصَبِهَا وَعِظَمِ جُهُودِهَا فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا وَلِهَذَا خُصَّتْ بِالذِّكْرِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}؛ عَاشَتِ الْأُمُّ فِي تَرْبِيَةِ الْابْنِ أَتْعَاباً مُتَوَاصِلَةً وَأَوْجَاعاً مُتَلَاحِقَةً وَهُمُوماً مُتَتَابِعَةً وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَضَعْفاً عَلَى ضَعْفٍ وَتَعَباً عَلَى تَعَبٍ، أُمُومَةٌ وَحَمْلٌ وَرَضَاعَةٌ وَمُلَاحَظَةٌ وَرِعَايَةٌ كُلُّ ذَلِكَ بَذَلَتْهُ الْأُمُّ نَحْوَ ابْنِهَا ، وَلِهَذَا إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ بَاراً بِأُمِّهِ تَمَامَ الْبِرِّ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ جَمِيلَهَا السَّابِقَ وَإِحْسَانَهَا الْمُتَلَاحِقَ، كَمْ قَدَّمَتِ الْأُمُّ لابْنِهَا مِنْ بِرٍّ وَإِحْسَانٍ وَرِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ؛ حَمْلٍ وَرَضَاعَةٍ، جِدٌّ وَاجْتِهَادٍ، سَهَرٍ وَتَعَبٍ، حُبٍّ وَرِعَايَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ بَذَلَتْهُ الْأُمُّ وَهِيَ مُحِبَّةٌ لِوَلِيدِهَا مُشْفِقَةٌ عَلَيْهِ تَمَامَ الشَّفَقَةِ ، فَإِذَا رَعَى الْابْنُ ذَلِكَ وَلَاحَظَهُ أَعَانَهُ ذَلِكَ عَلَى بِرِّهَا وَأَعَانَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَذَكَّرَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ سَيَقِفُ يَوْماً أَمَامَ اللهِ وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْأَلُهُ عَنْ قِيَامِهِ بِحُقُوقِ أَبَوَيْهِ، وَلِهَذَا خَتَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ الآيَةَ بِقَوْلِهِ: {إِلَيَّ الْمَصِيرُ}؛ أَيْ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا الْمَرْجِعُ وَالْمَآلُ فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِئَ بِإِسَاءَتِهِ.

وَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْابْنُ وَصِيَّةَ اللهِ هُنَا فِيمَا لَوْ كَانَ الْأَبَوَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا مُشْرِكاً -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ - يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} أَيْ أَبَوَاكَ{عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} وَمِثْلُ هَذَا مُجَاهَدَةُ الْأَبَوَيْنِ للابْنِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْفِسْقِ وَالْفُجُور {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} وَلَمْ يَقُلْ عَزَّ وَجَلَّ فَعُقَّهُمَا {فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمُصَاحَبَةُ لِلأَبَوَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ مُطَالَبٌ بِهَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْأَبَوَانِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ!! لَا شَكَّ أَنَّ الْمَقَامَ أَعْظَمُ وَالشَّأْنَ أَجَلُّ وَأَرْفَعُ.



-هَذَا وَقَدْ وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحُثُّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ(٥٩٧١) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٥٤٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:{أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ}.

-فَالْأمُّ هِيَ مَحَلُّ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ، وَهِيَ رَمْزُ التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ وَالطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ، وَهِيَ الْأَصْلُ الَّذِي يَشْرُفُ بِهِ الْوَلَدُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِصُحْبَتِهِ،وَيَلِيهَا الْأبُ فِي حَقِّ الْبِرِّ وَالصُّحْبَةِ

.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أنَّ رَجُلًا -وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَيْدَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-؛ جَدُّ بَهْزِ بنْ حَكِيمٍ- سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْبِرِّ بِهِ فِي مُصَاحَبَتِهِ لَهُ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَطِيبِ الْمُعَاشَرَةِ هِيَ الْأمُّ، ثمَّ سَأَلَهُ: ثُمَّ مَنْ يَلِي الْأمَّ فِي هَذَا الْحَقِّ؟ فَأجَابَهُ بِالْإِجَابَةِ نَفْسِهَا: أمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

أمُّكَ، وَهَكَذَا أوْصَاهُ بِالْأمِّ وَأَكَّدَ حَقَّهَا فِي حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ بَيَانًا لِفَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأَقَارِبِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ. ثُمَّ سَأَلَهُ الرَّابِعَةَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أبُوكَ، فَكَرَّرَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقَّ الْأمِّ ثَلَاثًا، وَذَكَرَ حَقَّ الْأبِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَيْسَ ذَلِكَ تَقْلِيلًا مِنْ حَقِّ الْأبِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَأكِيدٌ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الْأمِّ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ أفْضَالِهَا عَلَى وَلَدِهَا، وَكَثْرَةِ مَا تَحَمَّلَتْهُ مِنَ الْمَتَاعِبِ الْجِسْمِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ أثْنَاءَ حَمْلِهَا بِهِ، وَوَضْعِهَا وَإِرْضَاعِهَا لَهُ، وَخِدْمَتِهَا وَشَفَقَتِهَا عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الشَّفَقَةُ قَدْ تُطْمِعُ وَلَدَهَا فَيَتَهَاوَنُ فِي بِرِّهَا؛وَلِذَا أَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرَّ الْأمِّ مِرَارًا.

(٢)وَأخْرَجَ الشَّيْخَانِ أيْضًا الْبُخَارِيُّ بِرَقمِ (٣٠٠٤) وَمُسْلِمٌ بِرَقمِ(٢٥٤٩)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:أقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ: أبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أبْتَغِي الْأجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ:{فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ : نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا ، قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا}.

-بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْجِهَادُ مِنْ أعْظَمِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرَبِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَثَوَابَهُ الْعَظِيمَ، وَلَكِنْ يُقَدَّمُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْجِهَادِ إِذَا لَمْ تَكُنِ الْحَاجَةُ ضَرُورِيَّةً عِنْدَ الْفَرْدِ لِلْجِهَادِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- أنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{أحَيٌّ وَالِدَاكَ؟} فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ}، فَابْذُلْ جَهْدَكَ فِي إرْضَائِهِمَا وَبِرِّهِمَا، يُكْتَبْ لَكَ أجْرُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

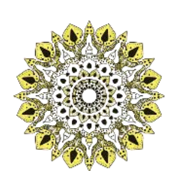
-قِيلَ: هَذَا إنَّمَا يَكُونُ فِي وَقْتِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَغَلَبَةِ أهْلِهِ لِلْعَدُوِّ، وَإِذَا كَانَ الْجِهَادُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، فَأَمَّا إِذَا قَوِيَ أهْلُ الشِّرْكِ وَضَعُفَ الْمُسْلِمُونَ، فَالْجِهَادُ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يَجُوزُ التَّخَلُّفُ عَنْهُ، وَإِنْ مَنَعَ مِنْهُ الْأبَوَانِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ وَالتَّرْغِيبُ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

-وَفِيهِ: أنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَدْخُلُ فِيهِ أنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ الطَّاعَاتِ.

•فحَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَبْنَاءِ الْبِرُّ،وَإِحْسَانُ الْمُعَاشِرَةِ لَهُمَا،وَالرِّفْقُ بِهِمَا،وَالدُّعَاءُ لَهُمَا،وَالانْفَاقُ عَلَيْهِمَا فَأَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ،

وَالْقِيَامُ عَلَى خِدْمَتِهِمَا،وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمَا فِي الْمَعْرُوفِ فَإِنْ أَمَرَا بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ مَعَ حُسْنِ الصُّحْبَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :{وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.(لقمان:١٥).هَذَا فِي حَيَاتِهِمَا،وَالْبِرُّ مَوْصُولٌ لَهُمَا بَعْدَ مَمَاتِهِمَا،فَمِنَ الْخَطأ أَنْ يَقُولَ الْبَعْضُ عِنْدَ وَفَاةِ الْأُمِّ:أُغْلِقَ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ،فَالْبَابُ لَمْ يُغْلَقْ لأَنَّ الْبِرَّ لَا يَنْقَطِعُ بِمَوْتِ الْوَالِدِينَ بَلْ هُوَ مَوْصُولٌ فِي الدُّعَاءِ لَهُمَا،وَالتَّصَدُّقِ عَنْهُمَا،وَسَدَادِ دَيْنِهِمَا،وَالْإحْسَانِ إِلَى صَدِيقِهِمَا،وَصِلَةِ أَحْبَابِهِمَا.

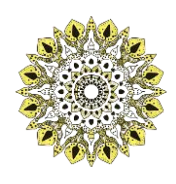


(هـ)وَمِنْهَا:تَرْبِيَةُ الْابْنِ عَلَى تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَى وَمُرَاقَبَتِهِ:

فَمِنْ جَمِيلِ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ وَوَعْظِهِ لِفِلْذَةِ كَبِدِهِ أَنْ رَبَطَهُ بِالصِّلَةِ بِاللهِ وَمُرَاقَبَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَأَخْبَرَ ابْنَهُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وَأَنَّ الْخَطِيئَةَ وَالْمَظْلَمَةَ مَهْمَا اجْتَهَدَ الْمُخْطِئُ الظَّالِمُ فِي إِخْفَائِهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْتِي بِهَا وَتَكُونُ حَاضِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (لقمان:١٦)؛ وَهَذِهِ لَفْتَةٌ كَرِيمَةٌ لِلآبَاءِ وَالْمُرَبِّينَ فِي زَجْرِ الْأَبْنَاءِ وَتَخْوِيفِهِمْ أَنْ يَكُونَ التَّخْوِيفُ بِاللهِ وَالدَّعْوَةُ لِمُرَاقَبَةِ اللهِ وَاسْتِحْضَارُ عِلْمَهُ وَاطِّلاعَهُ جَلَّ شَأْنُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ سُبْحَانَهُ.

(و)وَمِنْهَا:تَرْبِيَةُ الْأَبْنَاءِ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرِ عَلَى عَقَبَاتِ الطَّرِيقِ :

وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ لُقْمَانُ فِي أَمْرِهِ لِابْنِهِ بِالصَّلَاةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَدَعْوَتِهِ لِابْنِهِ لِلأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ رَجَاءَ أَنْ يُفِيدَ الْآخَرِينَ وَلِيَكُونَ لَهُ ذَلِكَ حِصْنًا حَصِيناً مِنْ دُعَاةِ الشَّرِّ وَدُعَاةِ الرَّذِيلَةِ وَالْبَاطِلِ، وَأَوْصَاهُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ بِالصَّبْرِ وَمُلَازَمَةِ الصَّبْرِ عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ أَذى، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }.(لقمان:١٧).

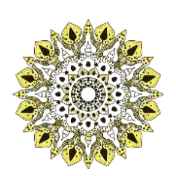


(ز)وَمِنْهَا:تَرْبِيَةُ الْأَبْنَاءِ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَجَمِيلِ الْآدَابِ،

وَالْبُعْدِ عَنْ رَدِئِ الْأَخْلَاقِ وَقَبِيحِ الصِّفَاتِ:

وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ لُقْمَانُ فِي وَصَايَاهُ لِابْنِهِ،فَقَدْ خَتَمَ وَصَايَاهُ النَّافِعَةَ وَتَوْجِيهَاتِهِ الْمُبَارَكَةَ السَّدِيدَةَ بِدَعْوَةِ ابْنِهِ لِرِعَايَةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْآدَابِ وَرَفِيعِهَا وَالْبُعْدِ عَنْ سِفْسَافِ الْأَخْلَاقِ وَرَدِيئِهَا

فَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.(لقمان:١٨-١٩).



(٥) الاهْتِمَام بالرِّعَايَةِ الصِّحِّيَةِ للطِّفْلِ:

- وَالصِّحَّةُ هُنَا تَشْمَلُ جَمِيعَ الْجَوَانِبِ: الْبَدَنِيَّة، وَالنَّفْسِيَّة وَالْعَقْلِيَّة، وَالرُّوحِيَّة.

-الصِّحَّةُ الْبَدَنِيَّةُ: إنَّ الصِّحَّةَ الْبَدَنِيَّةَ مِمَّا فُطِرَ النَّاسُ عَلَى الاهْتِمَامِ بِهِ؛ لأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِغَرِيزَةِ الْبَقَاءِ كَمَا أَنَّهَا السَّبِيلُ لِتَحْقِيقِ الْغَايَاتِ الْمَادِيَّةِ مِنْ مَأكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَرْكَبٍ.

-وَقَدِ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِالْإِنْسَانِ فَنَهَى عَنْ قَتْلِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، كَمَا نَهَى عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ بِبَدَنِهِ وَصِحَّتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.(الأنعام:١٥١).، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(الأعراف:١٥٧). وَأَخْرَجَ ابنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٩٠٩)مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ}.

-الصِّحَّةُ النَّفْسِيَّةُ:لَقَدْ حَرَصَ الإِسْلَامُ عَلَى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ الْفَاضِلَةِ وَتَزْكِيَتِهَا بِالْخِصَالِ النَّبِيلَةِ، فَكَانَ أَهَمُّ مَا سَعَي إِلَيْهِ هُوَ تَكْوِينُ النَّفْسِ السَّوِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْوَاثِقَةِ.

-وَقِوَامُ اسْتِوَاءِ النَّفْسِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ بِالتَّحَلِّي بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ مِنَ الْغَضَبِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْبُخْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُكْسِبُ الاضْطِّرَابَ وَالْقَلَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.(طه:١٣١).وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦٢٩٠)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ}.وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(١١)يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.(الحجرات:١١-١٢).

-الصِّحَّةُ الْعَقْلِيَّةُ: إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ فِي الْإِنْسَانِ لِذَلِكَ أَمَرَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ بِالْحِفَاظِ عَلَيْهِ وَحَرَّمَ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَي الْإِضْرَار بِهِ أَوْ إِزَالَتِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُؤَدِّي إِلَي ذَلِكَ الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدِّرَاتُ لِذَلِكَ حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}.(المائدة:٩٠-٩١).

-الصِّحَّةُ الرُّوحِيَّةُ: لَقَدْ اعْتَنَى الشَّرْعُ بِوَضْعِ الْوَسَائِلِ الْكَفِيلَةِ بِالْحِفَاظِ عَلَي الصِّحَّةِ الرُّوحِيَّةِ فَنَدَبَ الْمُؤمِنَ إِلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحَدَّ الْأَدْنَى الَّذِي يَكْفُلُ لَهُ غِذَاءَ الرُّوحِ، وَذَلِكَ بِشَرْعِ الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، ثُمَّ فَتَحَ لَهُ بَابًا وَاسِعًا بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ.

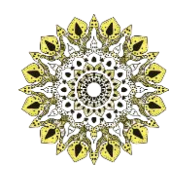
-هَذِهِ الْعِبَادَاتِ تَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِرَبِّهِ وَتُعِيدُهُ إِلَيْهِ كُلَّمَا جَرَفَتْهُ مَوْجَاتُ الدُّنْيَا؛ لِذَا كَانَ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: {وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ} وَكَانَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا }.

-وَقَدْ نَهَى الشَّارِعُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى سَقَمِ الرُّوحِ وَضَعْفِهَا، فَنَهَي عَنِ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ وَالانْهِمَاكِ فِي الْمَلَذَّاتِ؛ لِأَنَّهَا تُعْمِي الْقَلْبَ وَتَجْعَلُهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللهِ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْكُفَّارِ: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}. (الفرقان:٤٤).، وقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}.

(محمَّد:١٢).

-وَبِتَحْقِيقِ التَّرْبِيَةِ الصِّحِّيَّةِ لِلطِّفْلِ يَنْشَأُ الْمُؤمِنُ الْقَوِيُّ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٦٦٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:{الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ}.



•ثانيًا: بَعْضُ ثِمَارِ التَّرْبِيَةِ:

-عِنْدَمَا اهْتَمَ السَّلَفُ الصَّالِحُ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وفقَ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ أثمَرَتْ هَذِهِ التَّرْبِيَةُ وَآتَتْ أكُلَهَا وَمِنْ ذَلِكَ تَنْشِئَةُ الطِّفْلِ عَلَى أنْ يَكُونَ شُجَاعًا وَجَرِيئًا فِي الْحَقِّ بِأدَبٍ،وَإِلَيْكُمْ نَمُوذَجَانِ لأبْنَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

•الْأوَّلُ:غُلَامٌ فَقِيهٌ مُعَلَّمٌ:

عِنْدَمَا آلَتْ الْخِلَافَةِ إلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-سَنَة٩٩هِجْرِيَّة وَجَاءَتْهُ الْوُفُودُ مُهَنِّئَة مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أقبَلَتِ عَلَيْهِ وُفُودٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَتِ الْعَادَةُ أنَّ كُلَّ وَفْدٍ يَنْتَدِبُ خَطِيباً تُتَوَسَّمُ فِيهِ الْفَصَاحَةُ لِيُعَبِّرَ عَنْ تَهْنِئَةِ الْوَفْدِ. وَلَمَّا حَانَ دَوْرُ أحَدِ الْوُفُودِ، وَكَانَ أحَدُ رِجَالِ الْوَفْدِ يَصْطَحِبُ وَلَدَهُ مَعَهُ وَكَانَ فِي نَحْوِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَإِذَا الْغُلَامُ يَشْرَئِبُّ لِلْكَلَامِ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى عُمَرَ حَتَّى قَالَ لِلْغُلَامِ: اِجْلِسْ أيُّهَا الْغُلَامُ وَدَعْ مَنْ هُوَ أسَنُّ مِنْكَ لِلحَدِيثِ، فَإِذَا الْغُلَامُ يَثِبُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:يَا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ الْمَرْءَ بِأصْغَرَيْهِ: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَإِذَا أعْطَى اللهُ عَبْدَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً فَقَدْ أعْطَاهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ أنَّ الْأمُورَ تُقَاسُ بِالسِّنِّ، لَكَانَ مِنْ بَيْنِنَا مَنْ هُوَ أحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ!

فَإِذَا عُمَرُ يُؤْخَذُ بِثَبَاتِ الْغُلَامِ، وَقُوَّةِ جَنَانِهِ، وَفَصَاحَةِ بَيَانِهِ، وَذَلَاقَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ، فَتَكَلَّمْ فَإنَّ هَذَا هُوَ السِّحْرُ الْحَلَالُ!فَقَالَ الْغُلَامُ:يَا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ، وَلَسْنَا وَفْدَ التَّرْزِئَة، فَلَمْ تُقْدِمْنَا إلَيْكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ.. لِأنَّنَا قَدْ أمِنَّا فِي أيَّامِكَ مَا خِفْنَا، وَأدْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا..

فَتَهَلَّلَ عُمَرُ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ وَفَرِحَ بِالطَّبْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَنَاءٍ، وَكَانَ بِجِوَارِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، فَمَالَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:

(يَا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ الْقَوْمِ بِكَ، مَعْرِفَتَكَ بِنَفْسِكَ، فَإنّ قَوْماً غَرَّهُمُ الثَّنَاءُ، وَخَدَعَهُمُ الشُّكْرُ، فَزَلَّتْ أقْدَامُهُمْ فَهَوَوْا فِي النَّارِ، أعَاذَكَ اللهُ تَعَالَى أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، وَألْحَقَكَ اللهُ بِسَالِفِ هَذِهِ الأمَّةِ).

فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُخْلِنَا مِنْ وَاعِظٍ!!

•فَيَالَهَا مِنْ تَرْبِيَةٍ صَالِحَةٍ أثمَرَتْ شَجَاعَة وَثَبَاتاً مَعَ فَصَاحَةٍ وَحِكْمَةٍ وَأدَبٍ جَعَلَتْ أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-يَسْتَمِعُ لَهُ وَيُقَدِّمُهُ فِي مَجْلِسِهِ.

(انْظُرْ:اتْحَاف السَّادة المتَّقِين بشرح إحياء علوم الدِّين:١-١٤ ج١١ص:١٠٥).



•الثَّانِي:دِرْوَاسُ بْنُ حَبِيبٍ وَالْخَلِيفَةُ هِشَام بْنُ عَبْد الْمَلِك:

-ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُور-رَحِمَهُ اللهُ-فِي "مُخْتَصَر تَارِيخ دِمَشْق:٣/٩٧ قَالَ:{حَدَّثَ الْأصْمَعِيُّ عَنْ أبِي عَمْرو بْنِ الْعَلَاءِ الْمُقْرِئ قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ الْحَدثان يُحَدِّثُ أَنَّ الْبَادِيَةَ قَحطَتْ زَمَنَ هِشَام بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَدِمَتْ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنَ الْقَبَائِلِ؛ فَجَلَسَ هِشَامٌ لِرُؤَسَائِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَفِيهِمْ دِرْبَاسُ- وَقِيلَ دِرْوَاسُ- بْنُ حَبِيبٍ وَلَهُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَة، عَلَيْهِ شَمْلَتَان، لَهُ ذُؤَابَةٌ، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ وَهَابُوا هِشَاماً، فَوَقَعَتْ عَيْنُ هِشَامٍ عَلَى دِرْبَاس فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ:

مَا يَشَاءُ أَحَدٌ يَصِلُ إِلَيَّ إِلَّا قَدْ وَصَلَ حَتَّى الصِّبْيَان!

فَعَلِمَ دِرْبَاسٌ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ دُخُولِيَ لَمْ يَضُرَّك وَلَا أَنْقصَك وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَأَحْجَمُوا دُونَهُ؛ وَإِنَّ الْكَلَامَ لَنَشْرٌ، وَإِنَّ السُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ؛ قَالَ: فَانْشُرْ لَا أَبَالَكَ وَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ. فَقَالَ:

إِنَّهُ أَصَابَتْنَا سُنُون ثَلَاثٌ، فَسَنَةٌ أَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَذَابَتِ الشَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ؛ وَفِي أَيْدِيكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ، فَإِنْ كَانَتْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَعَلَامَ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي حَبِيبَ بْنَ دِرْبَاس بْن لَاحِق يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ لَاحِق بْن مَعْد بْن ذُهْلٍ أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمِعَهُ يَقُولُ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}،

وَإِنَّ الْوَالِيَ مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا. فَاحْفَظْ مَا اسْتَرْعَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَعِيَّتِهِ. فَقَالَ هِشَامٌ: سَمْعاً لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ وَذَكَّرَ بِهِ؛ ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ: مَا تَرَكَ الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ عُذْراً.

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُقَسَّمَ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي ثَلَاثُ مِئَةِ أَلْفٍ، وَأَمَرَ لِدِرْبَاس بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَم، فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْدُدْهَا إِلَى جَائِزَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَعْجَزَ عَنْ بُلُوغِ كِفَايَتِهِمْ؛ قَالَ: فَمَا لَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ؛ قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: مَالِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَر بِمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَم، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا مِثْلُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، تَبْعَثُ عَلَيَّ صَدَقَةً. فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَم، فَفَرَّقَ دِرْوَاسٌ فِي تِسْعَةِ أَبْطُنٍ مِنَ الْعَرَبِ حَوْلَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ عَشَرَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ عَشَرَةَ آلَافٍ. فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّ الصَّنِيعَةَ عِنْدَ دِرْوَاس لَتَضْعُف عَلَى سَائِرِ الصَّنَائِع}.

-حَقًّا إِنَّهَا التَّرْبِيَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي صَنَعَتْ هَذِهِ النَّمَاذِجَ الْمُضِيئَة فَالتَّأَسِي التَّأَسِي يَاشَبَابَ الْإِسْلَام.

•اللَّهُمَّ أصْلِحْ لَنَا نِسَاءَنَا،وَرَبِّ لَنَا أوْلَادَنَا،وَاجْعَلْهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا،وَاجْعَلْهُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَفَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أَمْنًا أَمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَسَلِّمْ.

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين
مع تحيات
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

